الاتساق النصي وخصائص الروابط الإحالية في قصيدة أندلسية لأحمد شوقي (دراسة لسانية إحصائية)

د. سامي الوافي

أستاذ محاضر بقسم الأدب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات

جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر

كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي

أم البواقي، طريق قسنطينة، الجزائر.

البريد الإلكتروني: louafi_2010@yahoo.com

مستخلص. تناولنا في دراستنا هذه بالتحليل نموذجاً شعرياً، تمثل في قصيدة "أندلسية" لأحمد شوقي، ركزنا فيه على الروابط الإحالية، بوصفها معياراً أساسياً من معايير الاتساق النصي، التي شكّلت حضوراً قوياً من خلال أنواعها الثلاثة: (القبلية / البعدية / النصية)، مُجسّدة علاقات التطابق بين أطراف الإحالة من مُحيلٍ ومُحالٍ إليه. الكلمات المفتاحية: الاتساق - الإحالة - لسانية - إحصائية - قصيدة أندلسية

تمهيد

يعدّ الاتساق النصي من المعايير الأساسية التي من شأنها أن تُسهم في تحقيق نصّانية النصوص وكفاءاتها التواصلية، -التي يتباين حضورها من نص لآخر-، من خلال جملة من الآليات والوسائل، كالإحالة والحذف والاستبدال والفصل والوصل والاتساق المعجمي من تكرار وتضام، ليفتح لنا هذا

المعيار اللساني مجالا واسعا لدراسة الشعر من خلال نموذج تطبيقي مُختار هو قصيدة "أندلسية" لأحمد شوقي*، باعتبارها واحدة من أهم قصائده التي نُظمت في منغاه، مُتضمنة حنيناً عميقاً، ومُستهلكة من ناظمها طاقة شعرية كبيرة، جعلتنا كقراء نلتمس نبرات الأمل وعبارات الأمل، عبر مشاعر مختلفة تتضارب في صدره.

(١٧) وَالْقَمَرُ إِذَا أَتَسَّقَ (١٨) ۞ الانشقاق. الآية ١٧-١٨؛ أي جَمَعَ (١).

كما جاء في معجم "متن اللغة" لأحمد رضا (١٩٥٣م) في مادة (و س ق): "اتَّسَقَ، يَتَّسِقُ، وَيَأْتَسِقُ الشيء: انظم وانتظم، واتسقت الإبل، اجتمعت، واتساق القمر، امتلاً واستوى ليالي الإبدار، والمتسق من أسماء القمر، ومن كلامهم فلان يسوق الوسيقة؛ أي يُحسن جمعها وطردها" (٢).

يتضح لنا من خلال هذين التعريفين المعجميين أن مادة (و س ق) في الثقافة العربية أستخدمت بمعنى النظم والجمع والضم، وهذا يتفق إلى حد كبير مع التعريفات الاصطلاحية للاتساق، التي جيء بها لتكفل معنى التضام والجمع بين العناصر المكونة للنصوص.

١-٢- الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الاتساق:

الاتساق من أبرز معايير النصية؛ إذ تقوم أدواته على الترابط الظاهري للنص صوتياً ومعجمياً ونحوياً، بحيث تتفاعل العناصر السطحية فيما بينها، فتحيلنا كلمات إلى كلمات أخرى (٣)، فهو مرتبط بالبنية السطحية للنصوص، من خلال مستويات اللغة الأربعة: الصوتي/الصرفي/التركيب/الدلالي، التي تتداخل فيما بينها لتشكل نسقاً لغوياً مترابطاً، فالاتساق بمفهوم عام: "يترتب على وسائل تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي بها السابق إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط" (٤)،

وسعياً منا لفك بعض شفرات هذه القصيدة المطولة وفق آليات التحليل اللساني النصي، نطرح إشكالا جوهرياً تدرج ضمنه أسئلة فرعية، سنحاول الإجابة عنها، مفادها:

- كيف تجلت ظاهرة الاتساق النصي في قصيدة "أندلسية" بوصفه معياراً؟
- وإلى أي مدى يمكننا الحكم على تحقيق الاتساق في القصيدة بوصفه معياراً نصياً؟
- وهل يمكننا اعتبار هذه القصيدة وحدة كلية متلاحمة في ضوء معيار الروابط الإحالية؟

١- الاتساق: Cohesion

يُشكّل الاتساق معياراً هاماً من معايير النصية، حيث يكفل تماسك النص وترابط عناصره، ليهتم به علماء النص اهتماماً بالغاً، محاولين وضع تعريف شامل له، بتحديد الآليات التي تضمن تحقيق الاتساق داخل النصوص.

وقبل الخوض في تحديد تعريف الاتساق يجب أولاً الوقوف على دلالاته المعجمية في البيئة اللغوية العربية.

١-١- دلالة المصطلح المعجمية:

ورد في معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) في مادة (و س ق): "الوسق جَمْلٌ؛ يعني ستين صاعاً، والوسقُ: ضَمُّ الشيء إلى الشيء بعضهما إلى بعض، والاتساقُ: الانضمام والاستواء، كاتساق القمر إذا تَمَّ وامتلاً فاستوى، واستوسقت الإبل: اجتمعت وانضمت، وقال تعالى: ۞ وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ

يُعرّف "محمد خطابي" الاتساق بأنه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"^(٦)، غير أنّ هذا الاتساق النصي لا يتم على المستوى الدلالي فقط، بل يمس حتى النحو والمعجم والأصوات، ولعلّ في ذلك إحالة للعملية التي تمر بها الكلمة قبل التلفظ بها، فهي تصور في البداية يُترجم لكلمات وجمل عن طريق روابط معينة، لتتجسد في الواقع بالصوت والكتابة**.

الذي هو عبارة عن أدوات وآليات تظهر في البنية السطحية للنصوص، للربط بين وحداتها اللغوية، فتُحيل كل واحدة منها إلى الأخرى، مُشكلة بنية تراتبية متتابعة.

الاتساق النصي بوصفه ربطاً نحوي هو تتابع بنائي ظاهري للنص، عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية والقاعدية المختلفة، وبعبارة أخرى هو ارتباط وحدات النص من خلال مفاهيم نحوية، فتبدو عناصر بناء النص على صورة وقائع مُتتابعة، يؤدي منها السابق إلى اللاحق، وهذا المعيار شكلي صناعي يدرس المباني للتوصل إلى المعاني^(٥).
ترسيمة توضح لنا ذلك: ^(٧)

١-٢- آليات الاتساق:

لا يتحقّق الاتساق إلّا من خلال جملة من الآليات، هي:

- الإحالة Reference
- الحذف Elimination
- الاستبدال Substitution
- الوصل Conjunction } والفصل Disconjunction
- الاتساق المعجمي : بشقيه: التضام Collaction
- التكرار Frequency

لاحقة أو عبارات أو مواقف لغوية أو غير لغوية" (٨)، في النص الذي هو مزيج سياقي / نسقي، مُكوّن من ألفاظ ومواقف وسياقات وأحداث مُوجّهة إلى القارئ بناءً على مقصد المتكلم.

١-٢-١ - عناصر الإحالة:

تتكون الإحالة من أربعة عناصر، وهي:

- **المتكلم أو الكاتب:** صانع النص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أشار.
 - **اللفظ المُحيل أو العنصر الإحالي:** ينبغي أن يتجسد إمّا ظاهراً أو مُقدّراً كالضمير، وهو الذي سيغير الاتجاه إلى خارج النص أو داخله.
 - **المُحال إليه:** ويكون إمّا داخل النص أو خارجه من كلمات أو عبارات أو دلالات.
 - **العلاقة بين اللفظ المُحيل والمُحال إليه:** المفروض أن يكون التتابق مُجسداً بين اللفظ المُحيل والمُحال إليه (٩).
- وإذا أردنا إسقاط هذه العناصر الإحالية على نص قصيدة "أندلسية" من خلال بعض النماذج، فالأمر يكون كالآتي:

وفي مقالنا هذا بالتحديد سنركز بالدراسة والتطبيق على آلية واحدة هي الإحالة، بكشف سمات تجليها في نص قصيدة "أندلسية" لأحمد شوقي.

١-٢-١ - الإحالة: Reference

النص بنية شاملة، مكونة من وحدات لغوية تشكل كيانه الداخلي، محكومة بمبدأ التتابع والترتيب، تبعا لطبيعة الحدث الذي تجسّده، وهذه الوحدات لا بدّ لها من ترابط محكم، لتتفاعل مع بعضها البعض وتُشكّل المعنى المطلوب، وتعتبر الروابط الإحالية من أهم العوامل المساهمة في اتساق النصوص واتحاد عناصرها، فما المقصود بالإحالة كمصطلح؟ وفيما تتمثل الروابط الإحالية في قصيدة أندلسية لأحمد شوقي؟

نالت الإحالة اهتمام الباحثين المتخصصين في الدرس اللساني قديماً وحديثاً، حيث عالجوا قضاياها من خلال الروابط والضمائر وأدوات الإشارة، محاولين إعطاء تعريف شامل لها، بوصفها "علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تُشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدلّ عليها عبارات أخرى في السياق أو يدلّ عليها المقام، وتلك الألفاظ تُعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول، حيث تشير إلى أشياء سابقة أو

قال أحمد شوقي:

فالمتكلم هو الشاعر "أحمد شوقي"، والمُحِيل "تاء التأنيث الساكنة" المُقترنة بالفعلين "قَصَّ" و"جَالَتْ"، أما المُحَالٌ إِلَيْهِ فهو "اليُدُ" التي قامت بالفعلين، والعلاقة بينهما تطابق. يقول الشاعر كذلك:

جمع البيت أربع علاقات إحالية، جسّدتها "تاء التأنيث الساكنة" في صدر البيت، والتي تُحيل إلى "مَآرِبُنَا"، ومثيلتها في عجز البيت تُحيل إلى "أَمَانِينَا"، وكذا "الهاء" في صدر البيت التي تعود على "الملاعب"، و"الهاء" الثانية في عجز البيت التي تعود على "الأربع"، وترتبط بين عناصر كل علاقة إحالية علاقة تطابق.

يقول الشاعر أيضا:

علاقة تطابق

اشتمل البيت على علاقتين إحاليتين، مثلتهما تاء التأنيث في "نَهَضَتْ"، والتي تعود على "يَدُ الدهر"، يقول الشاعر أيضا:

علاقة تطابق

الإحالة كانت في صدر البيت، بين "الهَاءِ" في "مَقَاصِرِهِ"، التي تعود على "الإِيوَانِ"، وعلاقتهما تطابق.

١-٢-١-٢ - أنواع الإحالة:

١-٢-١-٢ - بحسب الاتجاهات: وهي نوعان
اثنان، هما:

أ- إحالة نصية: داخل النص، وتشمل نوعين من الإحالات:

• إحالة إلى سابق أو مُتقدم **Anaphora**: وذلك حين تُحِيلُ صيغة الإحالة إلى عنصر لغوي مُتقدم، وقيل إنها إحالة بالعودة، حيث تعود على مُفسرٍ أو عائدٍ سبق التلُفُّظُ (الإحالة القبلية).

• إحالة إلى لاحق **Cataphora**: وذلك حين يُحِيلُ عنصرٌ لغوي أو مكوّنٌ ما إلى تالٍ له في النص، وقيل هي تعودُ على عنصرٍ مذكور بعدها في النص أو لاحق عليها (الإحالة البعدية) (١٠).

الإحالة إلى متأخر في مقابل الإحالة إلى متقدم
 ← * * / *

ب- إحالة مقامية **Exphora**: وهي إحالة عنصر لغوي إلى عنصر غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يُحيلَ ضميرُ المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم^(١١)، والشكل الآتي يوضح أهم أنواع الإحالة:

إذا عدنا إلى القصيدة نجد أنّ الإحالة على أساس الاتجاهات لها دور كبير في تماسك النص وبناءه الداخلي، بتجسيد وحدته اللغوية، وفي الجدول الآتي نماذج من القصيدة، حاولنا فيها التطبيق على الإحالة بأنواعها الثلاثة:

الجدول رقم ٠١ : أنواع الإحالة في قصيدة "أندلسية"

نوع الإحالة	نماذج من القصيدة	التعليق
إحالة قبلية	قال أحمد شوقي: لَفْتِيَّةٌ لَا تَنَالُ الْأَرْضَ أَدْمُعُهُمْ وَلَا مَفَارِقُهُمْ إِلَّا مُصْلِينَا	الضمير المتصل لجمع الغائب (هم) يعود على الفتية الذين سبق ذكرهم في أول البيت، وهي إحالة قبلية. الفتية → هم.
إحالة قبلية	لَكِنَّ مِصْرَ وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَّةٍ عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا	تاء التانيث الساكنة (ت) في أغضت تُحيل إلى مصر، التي وردت في صدر البيت، وهي إحالة قبلية. مصر → ت.

<p>في البيت مُحيلان: كاف الخطاب (ك) في حوتك، والتي تعود على ساري البرق المذكور قبل هذا البيت، وتاء التأنيث الساكنة (ت) في كانت، والتي تُحيل على سماء النيل، وهي إحالة قبلية.</p> <p>ساري البرق → ك.</p> <p>سماء النيل → ت.</p>	<p>حتى حَوَّتْكَ سماءُ النيلِ عاليَةً على الغيوثِ، وإنْ كانت مَيَّامِينَا</p>	<p>إحالة قبلية</p>
<p>في البيت مُحيلان، هما: تاء الفاعل للمخاطب المؤنث في (أجشمت) و(أتيت)، وكلاهما يعودان على معطرة الوادي، التي ذُكرت قبل هذا البيت، وهي إحالة قبلية.</p> <p>مُعطرة الوادي → ت.</p>	<p>أَجَشَمْتُ شَوْكَ السَّرَى حَتَّى أَتَيْتِ لَنَا بِالْوَرْدِ كُتُبًا، وَبِالزَّيَّا عَنَّاوِينَا</p>	<p>إحالة قبلية</p>
<p>في البيت مُحيلان، هما: كاف الخطاب في (ذُيولك)، والذي يُحيل على مُعطرة الوادي، التي ذُكرت قبل هذا البيت، وهي إحالة قبلية.</p> <p>والهاء في (نحمله)، والتي تعود على (مسكي)، وهي إحالة قبلية.</p> <p>معطرة الوادي → ك.</p> <p>مسكي → هـ.</p>	<p>هل من ذِيُولِكَ مَسْكِيٍّ نُحْمَلُهُ غَرَائِبَ الشُّوقِ وَشَيْئًا مِنْ أَمَالِينَا؟</p>	<p>إحالة قبلية</p>
<p>البيت مكون من إحالتين لاحقتين: الأولى من (الذين ... دني)، فالذين مُحيلٌ عائِدٌ على ما جاء بعده، أما الإحالة الثانية من البيت نفسه فهي: (هو الدنيا) فـ(هو) مُحيل، و(الدنيا) مُحال إليه، وهي إحالة قبلية.</p> <p>الذين ← وجدنا ودَّ غيرهم دني.</p> <p>هو ← الدنيا.</p>	<p>إِلَى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرَهُمْ دُنْيِي، وَوَدَّهُمْ الصَّافِي هُوَ الدِّينَا</p>	<p>إحالة قبلية</p>
<p>الإحالة البعدية مُتجسدة في هذا البيت تحديداً في هاء الضمير الغائب، الذي يُحيل على</p>	<p>كُلَّ رَمْتِهِ النَّوَى رِيَشَ الْفَرَاقِ لَنَا سَهْمًا، وَسَلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سَكِينَا</p>	<p>إحالة بعدية</p>

		النوى المذكورة بعده، وهي إحالة بعدية. رتمته ← النوى.
إحالة بعدية	وهذه الأرض من سهلٍ ومن جبلٍ قبلَ القياصرِ دَنَّاها فراعينا	الإحالة اللاحقة في هذا البيت في جملة (هذه الأرض)، ف(هذه) اسم إشارة مُحيل، والأرض غُنْصُر إحالة أو مُحال إليه، وقد تلا المُحال إليه المُحيل، وهي إحالة بعدية. هذه ← الأرض.
إحالة بعدية	مَلَاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مَارِبنا وَأَرْبُعٌ أُنْسَتْ فيها أمانينا	جمع هذا البيت بين إحالتين لاحقتين متشابهتين، المحيل فيهما تاء التأنيث الساكنة في (مَرِحَتْ) و(أُنْسَتْ)، والتي
		تعود على المأرب والأمانى المذكورة بعدها، وهي إحالة بعدية. مَرِحَتْ ← مَارِبنا. أُنْسَتْ ← أمانينا.
إحالة مقامية	يا نائحَ الطَّلحِ، أشباهَ عَوادينا نَشْجى لَوادِيكَ، أَمْ نَأْسَى لَوادينا؟	يعود ضمير المتكلم (نحن) في هذا البيت على عُصبة الشاعر وأصدقائه مَمَّن يُعانون من الوضع نفسه: بُعْدٌ وحنين للوطن، فالضمير (نحن) مُحيلٌ يعودُ على مُحالٍ إليه، وهو خارج النص، وهي إحالة مقامية غير لغوية .
إحالة مقامية	بنتا نِقاسي الدواهي من كواكبه حتى قَعَدنا بِها حَسْرَى نُقاسينا	تضمن هذا البيت إحالات مقامية تعود كلها إلى مُحالٍ إليه واحد، وهم المغتربون عن وطنهم.

القصيدة، فرغم كونها لم تخرج عن مُشيرين اثنين: إمّا الشعراء المغتربون أو الظروف القاسية التي دفعتهم للنفي والابتعاد، إلّا أنها حملت في ثناياها ذواتهم الأبية وأرواحهم النقية ومشاعرهم الصادقة

شهدت قصيدة أندلسية تنوعا في التوظيف الإحالي، فقد امتزجت فيها الإحالات القبلية والبعدية والمقامية، لتُشكّل نسقا إحاليا مشحونا بدلالات غزيرة، ولعل الإحالة اللأ نصية (المقامية) هي سيدة الحضور في

- **إحالة ذات مدى قريب:** وتجري في مستوى الجملة الواحدة، حيث لا توجد فواصل تركيبية جمالية.
- **إحالة ذات مدى بعيد:** وتجري بين الجمل المتصلة والمتباعدة في فضاء النص، وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل^(١٢).

وقد ورد النوعان في القصيدة المدروسة بشكل مكثف ومتفاوت، كانت الأحقية فيه للإحالة بعيدة المدى، وذلك يعود إلى إسهاب الشاعر في الحديث عن أمر معين، بذكر صفاته ومميزاته، وفيما يأتي تحديد لبعض نماذج الإحالتين (قريبة المدى / بعيدة المدى) من قصيدة "أندلسية" لأحمد شوقي، على سبيل الذكر لا الحصر:

تجاه وطنهم، وعبرت كذلك عن الصلة الروحية الممتدة بينهم وبين وطنهم، فهذا النوع من الإحالة على كثرة اطرافه جسد أمواجاً من المشاعر وعنفواناً من الأحاسيس، وزخماً من الرغبات من شعراء ظلّموا وشُجنوا وهم أحرار في وطن ليس وطنهم، وبين أهل ليسوا بأهلهم.

ولعلنا نحسب أنّ الإحالة المقامية روت قصة مختصرة عن معاناة هؤلاء الشعراء، ونجد تفاصيل هذه القصة في ثنايا الإحالات القبلية والبعدية المدرجة في القصيدة، ومن ذلك إحالة الشاعر إلى النيل / إلى مصر / إلى البساتين/ إلى الخمائل ... التي تُبين مدى اشتياقهم وتذكرهم لتفاصيل الأشياء من وطنهم.

١-٢-١-٢-٢ بحسب المدى الفاصل بين

العنصر الإحالي ومفسره: وهي نوعان اثنان، هما:

- نماذج عن الإحالة قريبة المدى: قال أحمد شوقي:

والسَّغْدُ لَوْ دَامَ، وَالنِّعْمَى لَوْ اطَّرَدَتْ * وَالسَّيْلُ لَوْ عَفَّ، وَالْمِقْدَارُ لَوْ دِينَا

مُحَالٌ إِلَيْهِ مُحِيلٌ

جِئْنَا إِلَى الصَّبْرِ نَدْعُوهُ كَعَادَتِنَا * فِي النَّائِبَاتِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا

مُحَالٌ إِلَيْهِ مُحِيلٌ

وَلَمْ نَدْعُ لِلْبَالِي صَافٍ فَدَعَتْ * بِأَنْ نَعُصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ آمِينَا

مُحَالٌ إِلَيْهِ مُحِيلٌ

لكن كيف تكون الإحالات هنا إحالات ذات مدى قريب، وبين المُحيل والمُحال إليه فواصل من أدوات وصفات؟

الجواب يكمن في طبيعة هذه الفواصل، فلو كانت حرفاً أو اسماً فلا تؤخذ بعين الاعتبار، ولا تؤثر في الإحالة، أمّا إذا كان الفاصل جملةً ولو في أبسط شكل لها: (فعل + ضمير)، فهذا يُغيّر من نوع الإحالة، لتُصبح بعيدة المدى.

تُبيّن لنا هذه الأمثلة الثلاثة النوع الأول من الإحالة قريبة المدى، ففي البيت الأول تاء التانيث في (اطَّردت) تعود على النعمى المذكورة قبلها مباشرة، والأمر عينه في قوله (الصبر ندعوهُ)، فهاء الضمير الغائب في الفعل (ندعوهُ) يعود على (الصبر)، وقد ذُكر قبله دون فاصل.

• نماذج من الإحالة بعيدة المدى: قال أحمد شوقي:

المُحيل والمُحال إليه جملتان، فهي إحالة قبلية بعيدة المدى.

أمّا النموذج الثاني تجسّد المُحيل فيه في "واو" الجمع في الفعل (يسودوا)، وفي ضمير الغائب للجمع (هم) في جملة (كانت لهم أخلاقهم ديناً)، وهذه الضمائر تعودُ على الفتيّة الذين سبق ذكرهم في البيت السابق

يلاحظُ في البيت الأول وجود مُحيلين، هما: هاء الضمير الغائب للمؤنث في كل من (جوانبها) و(حافاتها)، أمّا المُحال إليه فليس في البيت عينه، وإنّما ذُكر قبله، فالهاء تعودُ على مصر التي ذُكرت في البيت السابق للبيت المذكور، والفاصل بين

لهذا البيت، وقد فَصَلَ بين المُحِيل والمُحَال إليه جملة استثنائية، فهي إحالة ذات المدى البعيد. وأحالت في البيت الأخير تاء الفاعل للمؤنث في الفعلين: (أَجْشَمْتُ) و(أَتَيْتُ) على مُحَال إليه لم يُذكر في سياق البيت، بل قبل بيتين من ذلك فَصَلَتْ بينهم مجموعة جُمَل، فهي إحالة قبلية بعيدة المدى.

١-٢-١-٣- الوسائل الإحالية:

تُمَثِّل هذه الوسائل *** مجموعة الأدوات التي يستعين بها القارئ للوصول إلى أطراف العملية الإحالية: (مُحِيل / مُحَال إليه / العلاقة بينهما)، فهي "تلك العناصر التي يُعتمدُ عليها لتحديد المُحَال إليه داخل النص أو خارجه؛ إذ تَحْكُمُ تنقله في فضاءات النص من أجل تفسيرها، فلا تملك دلالة مُستقلة، بل ترتبط بعنصرٍ أو عناصرٍ أخرى" (١٣)، ولعلَّ التأكيد على هذا الأمر يُحيلنا بالضرورة إلى الضمائر والمبهمات، باعتبارها لا تحمل المعنى في ذاتها، بل من خلال تفاعلها مع الوحدات اللغوية المحيطة بها.

وقد اختلف الباحثون في تحديد مجموع الوسائل الإحالية، وإن كانوا قد اتفقوا في الإطار العام لها،

حيث أجمالوها في ثلاث وسائل هي: الضمائر / أسماء الإشارة / أدوات المقارنة، وهو الرأي نفسه الذي تبناه العرب المحدثون، فنجد الباحث "أحمد عفيفي" مثلاً قد ردّد الأمر نفسه بقوله: "تتفرّع وسائل التماسك الإحالية إلى الضمائر وأسماء الإشارة والموصولة وأدوات المقارنة، مثل التشبيه، وكلمات المقارنة مثل أكثر وأقل" (١٤)، فأما الضمير فقد لقي اهتماماً كبيراً من قِبل اللغويين، واختلفت فيه التعريفات قديماً وحديثاً، فلا يخلو نص من وجود الضمائر المختلفة، فهي أشهر نوع من الكلمات الكنائية ****، وهذا دليل على شيوعها وكثرة استخدامها نصياً أو شفويّاً للإشارة إلى شيء ما.

تُعرّف الضمائر في البيئة اللغوية العربية على أنها "اسم جامد يدل على مُتَكَلِّم أو مُخاطَب أو غائب" (١٥)، فهو اسم جامد لاستحالة تصريفه مع الضمائر المختلفة، يُحيل إلى شخص معين أو مجموعة أشخاص، سواءً كانوا المتحدثين أو المُخاطَبين أو الغائبين، والجدول الآتي يُحدّد إحصائياً مجموع الضمائر الواردة في القصيدة:

الجدول رقم ٠٢: نسب الضمائر في قصيدة "أندلسية":

	الغائب					المخاطب		المتكلم	
	هُنَّ	هَم	هَما	هِيَ	هُوَ	أَنْتُمْ	أَنْتِ	نَحْنُ	
٢٩٦	٦	١٣	٣	٦٩	٧٥	٣	٢٢	١٠٥	تكرارها في القصيدة
١٠٠	٠٢,٠٢	٤,٤	١,٠١	٢٣,٣	٢٥,٣	١,٠١	٧,٤	٣٥,٥	النسبة

نُخَصُّ الجدول في الشكل البياني الآتي:

الشكل رقم ٠٣: أعمدة بيانية تُمثِّل تكرار الضمائر ونسبتها في القصيدة:

يمشي عليها أرضهم، وأنَّ روابيها هي روابيهم، وأنهم وإنَّ أبعدوا عن وطنهم عنوة سيزلون أوفياء له مُتمسكين به، طال الزمن أو قصر.

ورد ضمير الغائب (هو) و(هي) بشكل مُتقارب: (٧٥ مرة) و(٦٩ مرة) بنسبة (٢٥,٣٤%) و(٢٣,٣١%) على الترتيب، وأُستعمل كإحالة لأشخاص وأشياء وردت في السياق اللغوي للقصيدة.

أمَّا استعمال ضمير المخاطب (أنت) للمذكر و(أنت) للمؤنث فكان (٢٢ مرة)، بما يُعادل نسبة (٧,٤٣%) من الاستعمالات الكلية للضمائر في القصيدة، فالمؤنث منها يُحيل على مكان مُعيّن خاطبهُ الشاعر من خلال أبياته، أمَّا الضمائر المُذكّرة فتعود على ذاتٍ مُفترضة، وإنَّ كان التأويل قد اتفق على

بناءً على معطيات الجدول والشكل البياني نلاحظُ جليا تباينَ توزيعِ الضمائر في القصيدة؛ إذ كانت الغالبية للضمير (نحن)، الذي ورد (١٠٥ مرة) بنسبة (٣٥,٤٧%)، وهذا راجعٌ إلى سياق القصيدة ذاتها، وإلى صاحبها، فقد أراد أحمد شوقي من خلالها أن يبعث برسالة لكل أسرة أو عائلة مصرية، اغتربَ أحدُ أفرادها أو نُفي ظُلما، وذلك بوصفِ حنينه والوضع الذي يُعانيه في الغربة، ورغبته في العودة إلى رحاب مصر وأهاليها.

ورد هذا الضمير بنسبة كبيرة في مواضع كثيرة، حاملا معه دلالة الملكية، نحو: حواشينا/نادينا/تسقيننا/روابينا، مما يُبرزُ حالة التحدي التي تُخالج نفس الشاعر ومن معه، وليؤكّدوا أنَّ الأرض التي

أما بخصوص المُبهمات كأسماء الإشارة والأسماء الموصولة تُعدُّ من بين أهم الوسائل الإحالية، حيثُ "تقوم بالربط النصي عندما تُستخدم في الإحالات القبلية والبعدية، وتُشارك الأسماء الموصولة بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنانة لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضا عما تُحيلُ إليه" ^(١٦)، فهي لا تحمِلُ معناها في ذاتها، بل من خلال تفاعلها مع ما جاورها من الوحدات اللغوية، فكلما الاسم يُحققان ربطا اتساقيا، سواء مع الوحدات السابقة لها أو اللاحقة، وقد لاحظنا ندرة في استخدام أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، التي وردت مرة واحدة فقط في القصيدة ككل، وذلك في قوله:

دُنِّيَّ، ووُدُّهُم الصافي هو الدينا

* قَبْلَ القِيَاصِرِ دِنَّاها فِرَاعِينَا
سابق كَمَّا أو كَيْفًا أو مُقَارَنَةً ^(١٧)، فالمُقارنة تقتضُ وجود طرفين أو أكثر، لتتَمَّ المقارنة بينهما من خلال وسائل وأدوات معينة، لها وظيفة المقارنة، بتفضيل طرف على طرف آخر أو مُشابهته به في وجه من الوجوه.

وبإسقاط هذه المفاهيم النظرية على نماذج مختارة من القصيدة يبرزُ لنا نوعان من المقارنة: المقارنة عن طريق التفضيل والمقارنة عن طريق التشبيه.

مُخاطبته لشخصية تاريخية، هو المُعتمد بن عباد، وهناك من يقولُ أنَّ الحَمَامَ هو المقصود من هذا الخطاب.

وردت في القصيدة ضمائر أخرى بنسبة أقل من سابقتها: (أنتم/هما/هم/هنّ)، حيث تكررُوا تَباعاً: (٦/١٣/٣/٣) بنسبة (١,٠١%/١,٠١% / ٤,٣٩% / ٢,٠٢%) على التوالي، وتعودُ كلها إلى أشخاص وأشياء وأحداثٍ مُدرجة في القصيدة.

ومنه فالضمائر باختلافها هنا في القصيدة شكّلت حلقة أساسية من حلقات الإحالة، وقد اعتمدها الشاعر بشكل كبير لضبط المعاني، وإيصالها مترابطة / مُتناسقة / مفهومةً للمتلقين.

إلى الذين وجدنا وُدَّ غيرهم *

وقوله أيضا:

وهذه الأرض من سهل ومن جبلٍ

ولعلَّ مردَّ هذه النُدرة في استخدام الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة هو الاستخدام المُكثَّف للضمائر بأنواعها، والتي حالت دون الحاجة إلى استخدام الصلة والإشارة.

أما المقارنة فهي الوسيلة الثالثة من الوسائل الإحالية، حيث تقوم على المقارنة بين الأشياء والتفضيل بينها، بوصفها "كلَّ الألفاظ التي تؤدي إلى المُطابقة أو المُشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى

• المقارنة عن طريق التفضيل: في قول الشاعر:

وَلَا حَوَى السَّعْدَ أَطْعَى فِي أَعْنَتِهِ * مَنَا جِيَادَ، وَلَا أَرْجَى مَيَادِينَا
فوجه الاستشهاد في كلمتي: (أَطْعَى) و(أَرْجَى)، فكأنَّ
الشاعر يقارن نفسه وباقي الشعراء المهجريين بغيرهم
ممن يحاولون التصدي لصعوبات الحياة، مؤكِّدًا على
صلابتهم وأفضليتهم، وأنَّ الحُروب ودروب الوغى
أهونُ ألف مرة مما يعانونه في غربتهم، فهذا البيت
هو عنوان التحدي والصمود ورمزُ الأنفة والكبرياء،

الجدول رقم ٠٤: نماذج التشبيه في القصيدة:

نماذج من القصيدة	تواتره	نوع التشبيه	
لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ كَالْخَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لَدَارِينَا وَمِصْرُ كَالْكَرَمِ ذِي الْإِحْسَانِ فَالْكَهْ لِحَاضِرِينَ، وَأَكْوَابٌ لِبَادِينَا	سبع مرات (٠٧)	الكاف	أداة
كَأَنَّ أَهْرَامَ مِصْرَ حَائِطٌ نَهَضَتْ بِهِ يَدُ الدَّهْرِ، لَا بُنْيَانَ فَانِينَا كَأَنَّهَا وَرِمَالٌ حَوْلَهَا التَّطَمْتُ سَفِينَةٌ عَرِقَتْ إِلَّا أَسَاطِينَا	أربع مرات (٠٤)	كأنَّ	
لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نُسْخَتُهُ تَمَائِلُ الْوَرْدِ خَيْرِيًّا وَنِسْرِينَا	مرة واحدة (٠١)	تمائل	أفعال
وَالشَّمْسُ تَخْتَالُ فِي الْعَقِيَانِ، تَحْسِبُهَا بِلْقَيْسَ تَرْفُلُ فِي وَشْيِ الْيَمَانِينَا	مرة واحدة (٠١)	تحسبها	

نُلخِصُ الجدول في الشكل البياني الآتي:

الشكل رقم ٥٠: أعمدة بيانية تُمثل تواتر التشبيه في القصيدة:

وأشياء، علَّه بذلك يوفيهما حقَّها من الوصف، لكن هيهات.

الخاتمة

وفي ختام مقالنا هذا نستنتج أنَّ الدراسة التطبيقية للاتساق النصي في قصيدة "أندلسية" لأحمد شوقي كشفت على أنه آلية أساسية في تحقيق الترابط والتماسك داخل النص، لارتكازه على البنية الداخلية للنصوص في أغلب آلياته من: (إحالة/حذف/استبدال/فصل ووصل/اتساق معجمي بشقيه: التكرار والتضام)، مُشكِّلاً بذلك بوابة الدراسة اللسانية النصية، التي تتطوَّق من الجانب اللغوي والقواعد اللسانية المُتَحَكِّمة في بناء النصوص وتماشك أجزائها، فالاتساق النحوي تحدَّد بوصفه معياراً تحليلياً، أثبت حضوره في القصيدة من خلال أنواعه

يُبيِّن الجدول والأعمدة البيانية أنَّ "كاف التشبيه" وردت أكثر من الأدوات الأخرى، فقد تكرر ذكرها سبع مرات (٥٧) في القصيدة، وأغلب استعمالها تعلقت بمصر، حيث شبَّهها تشبيهاً قِيماً: (أم موسى/ الدنيا/الكرم)، وفي غيرها حديث عن نفسه ومن معه في الغربية، أمَّا "كَأَنَّ" فقد وردت أربع مرات (٥٤) في القصيدة، ثلاثٌ منها عادت على "مصر"، أين شبَّهها الشاعر بالحائط / السفينة/لآليء الضحى، في حين "التشبيهُ بالأفعال" تجسَّد في الفعلين:

(تماثل/تحسبها)، والملاحظ على هذه التشبيهات أنَّ معظمها يدور حول مصر، باعتبارها موطن الشاعر ومستقره، وغايته الأسمى هي العودة إليها وملامسة ثرابها، فمصرُ بالنسبة لأحمد شوقي مكان فاضل، تجتمع فيه صفات الرقي، فلا ينفك يُشبَّهها بأشياء

الأرض من سهل ومن جبل، وهي إحالة قبلية تمثلت في اسم الإشارة المفرد المؤنث (هذه)، بينما بلغ عدد إحالات الأسماء الموصولة إحالة واحدة فقط، في قوله: إلى الذين وجدنا ودَّ غيرهم، تمثلت في الاسم الموصول (الذين)، وباعتبار أن الأسماء الموصولة لا تقوم بذاتها، وإنما تقوم بما يأتي بعدها من الصلة والعائد، فإن إحالة الاسم الموصول هنا جاءت إحالة بعدية.

- الإحالة الإشارية الواردة في القصيدة ذات مدى قريب؛ إذ لا يتعدى الفاصل بين اللفظ المحيل واللفظ المحال إليه كلمة واحدة، وهذا القرب بين اللفظين جعل للإحالة دوراً قوياً في تحقيق الاتساق بين اللفظين.

- حفل نص القصيدة بنوعين من المقارنة:
- الأول المقارنة عن طريق التفضيل: (أطغى / أرخى)، جاء المقطعان متشابهان في الهيكل والبناء، ولكن الذي عدلها عن صفة التشابه إلى صفة التقابل هو تقابل الفعلين (أطغى / أرخى).

- والثاني المقارنة عن طريق التشبيه: أحدثت الجمل المقارن بينها بالتشبيه: مثل التشبيه بالأدوات (الكاف/ كأن)، والتشبيه بالأفعال (تمائل / تحسبها) في نص القصيدة تعاضداً وتلاحماً بين أجزائه؛ إذ تمثل كل جملة موقعاً يتشابه أو يتباين مع الموقف الآخر، ما يجعل القارئ لا يقف عند جملة واحدة فقط، بل لابد له حتى يصل إلى المعنى المراد في النص، أن يصل إلى ما يقارن هذه الجمل ويوضح

الثلاثة: (قبلي / بعدي / نصي)، مجسداً لعلاقات التطابق بين أطراف الإحالة: (المحيل / المحال إليه)، غير أن هذا السخاء يُقابله شح ملحوظ للوسائل الإحالية من أسماء إشارة وأسماء موصولة وأدوات المقارنة.

نحمل هذه النتائج التطبيقية في النقاط الآتية:

الاتساق النحوي (الإحالة):

- توافق الضمائر الإحالية مع العناصر المحيلة عليها خارج النص، من حيث العدد والجنس، وذلك دليل قيام الربط بين الضمائر والعناصر.

- أسهمت ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب في ربط لغة النص بسياقها، من خلال إحالتها إلى العالم الخارجي، وهذا جعل الاتصال قوياً وواضحاً ومباشراً بين المحاور الرئيسة في القصيدة، وكان من أقوى هذه الضمائر اتصالاً بالسباق ضمير المتكلم (نحن / مثل فئة المغتربين والمهجرين عن أوطانهم)، الذي تكرر وروده (١٠٥ مرات / بنسبة ٣٥,٥%) في النص، وهو ربط النص بالسباق الذي حصل فيه.

- قيام تفاعل بين المتلقي ولغة نص القصيدة، بدليل قدرته على تحقيق إدراكنا للعناصر المحال عليها خارج النص بكل وضوح (مصر، النيل، الأندلس، الوطن، المنفى...)، وبالتالي فإنه يتأكد لدينا نجاح عملية الإحالة، ورغبة المتلقي في الاستمرار مع النص.

- وردت أسماء الإشارة بوصفها إحالة إشارية في القصيدة ككل في موضع واحد فقط، في قوله: وهذه

(٥) عبد العظيم، فتحي خليل: مباحث حول نحو النص، مصر، شبكة الألوكة، (د ت)، ص ١١.

(٦) خطابي، محمد: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١، ط١، ص ٥٥.

* * مهمتها نقل المعاني إلى كلمات والكلمات إلى أصوات أو كتابة.

(٧) لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٥.

(٨) عفيفي، أحمد: الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، مصر، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ط١، ص ٣٢٠.

(٩) الإحالة في نحو النص، ص ١٢.

(١٠) البحيري، سعيد حسن: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥، ط١، ص ١٠٥.

(١١) الزناد، الأزهر: نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، المركز العربي الثقافي، ١٩٩٣، ط١، ص ١١٩.

(١٢) المرجع نفسه، ص ص ١٢٣-١٢٤.

* * * تمثل الوسائل الإحالية جزءا من المحال إليه، بوصفه ميزة فيه، حيث يستطيع المحلل تبين موقع المحال إليه من خلال هذه الوسائل الدالة، وعلاقتها بالوحدات المجاورة لها.

معناها، وذلك بإحداث التلاحم والترابط في سجية وهدهد، من غير أن يكون ذلك لافتا لانتباه القارئ.

خلاصة النتائج:

الإحالة النصية بروابطها المختلفة حققت الكفاءة النصية لنونية أحمد شوقي، عن طريق خاصية الربط والتنسيق؛ لأن هذا الجانب من النظام التركيبي للغة مهمته العمل على تحقيق ما نسميه الاتساق النصي.

الهوامش:

* شوقي، أحمد: الشوقيات: الأعمال الكاملة، بيروت، لبنان، دار العودة، ١٩٨٨، ط١، مج١، ص ص ١٠٤-١٠٨.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ج٤، مادة (و س ق)، ص ٣٧١.

(٢) رضا، أحمد: معجم متن اللغة، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠، (د ط)، مج٥، مادة (و س ق)، ص ٧٥٥.

(٣) دي بوجراند، روبيرت: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، القاهرة، مصر، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط١، ص ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٤) بشار، إبراهيم: «الاتساق في الخطاب الشعري: من شمولية النصية إلى خصوصية التجربة الشعرية»، بسكرة، الجزائر، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، ع٢٠٦، ٢٠١٠، ص ص ٠٢-٠٣.

٣. تهامي، الزهرة: الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، إشراف الأستاذ الدكتور: سالم سعدون، مذكرة ماجستير، البويرة، الجزائر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند الحاج، ٢٠١٠/٢٠١١.

٤. حسن، عباس: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، مصر، دار المعارف، (د ت)، ط٣.

٥. خطابي، محمد: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١، ط١.

٦. دي بوجراند، روبيرت: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، القاهرة، مصر، عالم الكتب، ١٩٩٨، ط١.

٧. رضا، أحمد: معجم متن اللغة، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠، ط١، مج٥.

٨. الزناد، الأزهر: نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، المركز العربي الثقافي، ١٩٩٣، ط١.

٩. شوقي، أحمد: الشوقيات: الأعمال الكاملة، بيروت، لبنان، دار العودة، ١٩٨٨، ط١، مج١.

(١٣) تهامي، الزهرة: الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، إشراف الأستاذ الدكتور: سالم سعدون، مذكرة ماجستير، البويرة، الجزائر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند الحاج، ٢٠١٠/٢٠١١، ص ٤١.

(١٤) الإحالة في نحو النص، ص ١١٨. **** للتوسع أكثر في جزئية هذا الموضوع ينظر: دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، الصفحات: ٣٢١-٣٢٢.

(١٥) حسن، عباس: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، مصر، دار المعارف، (د ت)، ط٣، ص ٢١٧.

(١٦) الإحالة في نحو النص، ص ص ٢١-٢٢.

(١٧) الإحالة في نحو النص، ص ٢٢.

المراجع

المصادر والمراجع:

١. بحيري، سعيد حسن: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية والدلالة، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥، ط١.

٢. بشار، إبراهيم: «الاتساق في الخطاب الشعري: من شمولية النصية إلى خصوصية التجربة الشعرية»، بسكرة، الجزائر، مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، ع٢٠٦، ٢٠١٠.

١٠. عبد العظيم، فتحي خليل: **مباحث حول نحو النص**، مصر، شبكة الألوكة، (د ت)، ص ١١.
١١. عفيفي، أحمد: **الإحالة في نحو النص**، كلية دار العلوم، مصر، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ط١.
١٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **معجم العين**، تح: عبد الحميد هندائي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ج٤.

**Textual Cohesion and the Characteristics of assigning in the Poem of
Ahmed Shawki “Andalusia”
(Linguistic Statistical study)**

Dr. Sami Louafi

*College of Letters. Laarbi ben mhidi
University. Oum Bouaghi. Algeria*

Abstract. In this study we analyze a poetic model, represented in Ahmad Shawqi's poem "Andalusia," in which we focused on the reference links , as a fundamental criterion of textual consistency, which formed a strong presence within the text through its three types: (prior /post/ textual) , Reflecting the correspondence between the assigning parties of an assignor and an assignee.

Key words: Cohesion- Reference- Linguistic- Statistical- Andalusian Poem